القوميات فى العالم الثالث

دراسات نظرية

القومية كلمة ذات معنى اجتماعي مطاط . لا يستطيع المرء ان يعطيها مفهوما ثابتا وقيمة ثابتة . وما دام المجتمع في تطور وتغير مستمرين فان تعريفها من أصعب الامور . والصفة القومية بحد اطارها الاجتماعي، التركيبة الاجتماعية والادوار التاريخية التي اجتازتها الشعوب ومر بها خلال نشوئها وتكوينها .

لذا فان التعريف بالقومية يلزمنا فهم التطور التاريخي المعنى للمفاهيم الاجتماعية المتضمنة لتوعية علاقات الانتاج . لذا ارى ان تكون عشير في تعريفها وحكمها .

واما اعتبرنا ان المجتمعات البشرية تطورت عبر اشكال مختلفة من البنيات السياسية الاقتصادية (— الرق — الاقطاع — البورجوازية) فان معنى القومية يمكننا ان نعتبره متطورا مع هذه الاشكال ومن ثم المفاهيم .

١) . واما اعتبرنا ان القومية هي الرابطة التي يشعر ابناء الامة الواحدة بانها تربطهم فان هذا المعنى هو شرعيتهم في التاريخ . فان القومية بهذا المعنى هي عصبية القبيلة الواحدة او وحدة العصلة والقرابة لمجموعة معينة من الناس تحتاج لهذا التضامن ، كرد متكرر على عصبيات اخرى او كحافز لدفع هذه المجموعة للاستيلاء ، على مناطق اخصب واوسع بهذا المدلول يكون الاشوريون والكلدانيون والارامون قد شكلوا امما وقوميات ، ويلي معنى القومية ـ اذا ارمنا ان نقيم التاريخ باثه ، مظهر من مظاهر وجود السادة ذات الحقيقة الموضوعيةحسب تعريف المادية الجدلية ـ يبقى معنى للقومية خاصما لمعنى كالرابطة العصبية ، او رابطة الدم الواحد ، او عنصرية التعريف والتحديد .

لكن القومية وهمومها ملازم لبنية الاقتصادية وعلاقات الانتاج الناتج عنهما البنية السياسية ، اي انه خاضع لصلبة التطور المرتكزة علىوجود التناقض الجدلي في تغيير الاشكال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية

٢) ان الرابطة التي تربط مجموعة معينة من البشر تغير مفهومها ومرت بمراحل عديدة ومنها رابطة الدين ... ولقد رأينا اوروبا ترسف في حروب دينية عديدة ابان القرون الوسطى حتى القرن السادس عشر ، لتغيير بعين الاعتبار المآرب العديدة التي تدخل في تفجير الحروب باسم القومية . هذه المآرب منها الاقتصادية والسياسية . ولم تكن الحروب القومية والصراعات القومية في ظل الاقطاع المحض المقاطعة في اوروبا ترجع الى صراع ، وحدة العصبية ، او الى صراع ديني بقدر ما كانت ترجع الى توسيع رقع الاقطاعات باسم القومية والدين .

٣) ومع نشوء طبقة البورجوازية التي خاضت معارك داخلية ضد الاقطاع القومي فان هذه البورجوازية قادت حروبا اكثر ضراوة وشراسة باسم القومية لامتلاك اسواق اكثر اتساعا واستيعابا لمنوعاتها فكانت تسير هذه الحروب تبعا لمصالحها مستخدمة في ذلك طبقة الفلاحين والعمال ، وقد اتخذت الحروب في ظل الاشتراكالرامبالية الاستعمارية الاشكال التالية :

ا ـ صراع الامم القوية في سبيل استعمار واستعباد الشعوب الفقيرة وتمزيقها وربط اقتصادها بمصلحة الرأسمال المسيطر .

ب ـ صراع الامم المستعبدة في وجه الامم القوية في سبيل الاستقلال .

ج ـ صراع الامم الضعيفةالمصيرة بين بعضها ، وهذا الصراع هو اما امتداد للصراع المركزي الدائر بين الامم القوية ، واما ان يكون احد اساليب الاستعمار في حرب هذه الامم وتدميرها والهائها عن المطالبةبحريتها واستقلالها . (هذه التحديدات هي عموميات ويمكننا ان نجد نماذج كثيرة ، انما غالبها يدور تحت هذا التقسيم) .

هذه الحروب المختلفة بين الامم كبيرة كانت ام صغيرة يقابلها في الداخل مظهران :

١ ـ ان الطبقة الرأسمالية في الامم القوية تستخدم العمال في سبيل تحقيق غرضين استغلال العمال في الداخل ، ومزاولة عمله السحق الطبقي للامم الضعيفة .

٢ ـ ان الطبقة العاملة والكادحة في البلدان المحتلة والامم الضعيفة التي تسيرها البورجوازية في سبيل بعض المطالب الجزئية من المستعمرتضطر في احيان كثيرة للتنازل عن مطاليبها الخاصة لقاء ابتداع حرب قومية مع امة اخرى ـ على السيادة المطلبية لطبقة البورجوازية ـ .

■ نموذج القوميات في بلدان العالم الثالث

ان النماذج القومية التي عرضناها في اوروبا تختلف من حيث بنيتها وعلاقاتها عن بنيات وعلاقات القوميات في بلدان العالم الثالث . وفي الوقت الذي كانت فيه القوميات الاوروبية وما تزال قوميات العصبيات الضيقة المحلية ، فان قوميات البلدان الفقيرة والعالم الثالث تشكل عنصر التحررات القومية . ويعود ذلك لحجم مصالح الطبقات المسيطرة في بلدان اوروبا حيث تمتد هذه المصالح الى اكثر من استغلال الطبقة العاملة والفلاحية الى استعمار واستغلال امم اخرى بكاملها .

واذا كانت الطبقة البورجوازية ومن قبلها الاقطاع الاوروبي ترى مصلحتها من خلال تحقيق انتصارات استعمارية قوية على حساب الشعوب الاخرى وسحق الطبقة العاملة . فان الطبقة البورجوازية في بلدان العالم الثالث والامم المقهورة ـ الامة العربية ترى مصلحتها من خلال التعاون مع الدول الاستعمارية . هذا التعاون القائم على حساب مصلحة الامة التي اصبحت موازية لمصلحة الطبقة الشعبية الفقيرة فقط .

ان البورجوازية الكبيرة في بلدان العالم الثالث تكونت في احضان المستعمر في عملية الاستغلال العسكري من المستعمر هذه البورجوازية لم يترك المستعمر المجال لها كي تستطيع ان تحصل خارج اطاره واحتكاراته من ناحية كما انه ابقى مستعمراته على نحوها الزراعي في المعيشة كي يبقيها في وضعها المتخلف من ناحية اخرى . وكل ما فعله هذا المستعمر ان وضع كل امكانات انتاجها مرتبطة بمستعمراته اي انه ابقى على السلاح الذي خرج منها عسكريا ، محصنا لسوقه ومنبعا للمواد الخام التي يحتاجها في مصنعه . لذا فان بورجوازية البلدان النامية لم تكن ولم تستطع ان تكون البورجوازية الوطنية المغيورة على الامة القومية . وظلت فصلا كما عشنا في وماونتي توئبالبورجوازية الكومبرادورية الوسيطة التي تجني رأسمالها من العمالة والمتوسطين ، بنفقة الشعب .

ونستطيع ان نستنتج من ذلك ان البورجوازية التي حصلت على النصيب الاوفر في نمو الثروة الناجمة في اوروبا وكانت غيورة على المصلحة الوطنية والقومية فانها كانت عكس ذلك في الامم النامية وهذا ما ينزع من البورجوازية في هذه الامم دورالقيادة في التحرر الديمقراطي الوطني البورجوازي . كما رأى ماركس وانكلز في البورجوازية الاوروبية بل نجد قول لينين الذي عاش بدء حركات التحرر الوطني والقومي في بلدان العالم الفقير في قوله بان الثورات القادمة في الشرق ستأخذ من طابعها الخاص اكثر بكثير مما اخذت الثورة الروسية .

■ القومية العربية

والشعب العربي او الامة العربية هي واحدة من هذه الامم الضعيفة الممتدة في اسيا وافريقيا وينطبق عليها كل ما ورد من تحديدات ومفاهيم فهي :

١ ـ امة فقيرة ومنكوبة ومستغلة ومستهلكة للسلع والمحب للمصنوعات الغربية .

٢ ـ البورجوازية الوطنية تستهلك المصنوعات وتحت لواء التجزئة .

٣ ـ البورجوازية الصغيرة تستلم الحكم في الغالب بعض الاصلاحات وتتمسك للاستمرار في الحكم بعد ان تكون قد ضربت حكم البورجوازية الكبيرة وحكم عصر مرحلة التحرر الوطني من الاستعمار .

ان طبقة العمال والفلاحين ـ في الامة العربية ـ وحدها الامينة على المصلحة القومية او ـ مرحلة التحرر الوطني ـ ولهذا فان الطبقة العاملة لا يمكن ان تكون امينة على المصلحة القومية او الوطنية لانها تلتقي بالبورجوازية الصغيرة فحسب بل هي امينة على المصلحة القومية من خلال قيادة حكم الطبقة العاملة وبناء الاشتراكية على طريق ... لذلك ، فان المسيرة القومية بوجه عام ، وبصورة محددة ... ومن الضروري التعريف

بين قومية الامة الغنية وقومية الامة المظلومة . (لينين ١٩١٤)

وقد يكون مثل الاستاذ كما يقول الاستاذ ميشيل عفلق في فهم المصلحة القومية ... في مستوى هذه القومية ... المستوى المحور ... في كل مرحلة من مراحل ... حزب قومية ... الجماهير ... في الغرب لا يجب الا الطبقات ... الشرق عبارة عن امم مظلومة والامة العربية هي احدى هذه الامم المظلومة . ... الثورة ... في روسيا مع ... حزب الثورة العربية في ... وواقع الامم في بلدان العالم الثالث .

■ كيف اصبح مفهوم « مرحلة التحرر الديمقراطي » بالنسبة للامة العربية

ان « مرحلة التحرر الديمقراطي البورجوازي » الاوروبية لا يمكن ان تتم مجردة بل على ضوء الظروف التي احاطت بها :

١ ـ التحرر من الاقطاع ...

٢ ـ مرحلة ... (برلمان) .

٣ ـ البورجوازية الاوروبية هي البورجوازية الوطنية .

ومع ... مرحلة التحرر الديمقراطي الوطني ... التي اجتازتها الامة العربية في سبيل التخلص من الاستعمار الغربي العسكري ... الثورة المعاصرة . ... ان الثورة العربية ... ظروف ... عن الظروف التي ... في اوروبا . فالثورة العربية هي ... البورجوازية

ـ قومية ... ـ في ... الامة العربية ... البورجوازية ... في الثورة الصناعية في اوروبا ... البورجوازية العربية ... المصلحة القومية .

. وما ... لا ... الحركات القومية ... ١٩١٨ ... البورجوازية الوطنية ... الاستقلال ... الوحدة القومية ... في بلدان العالم الثالث ...

١ ـ وحدة الامة الوحدة القومية .

٢ ـ وحدة ... الطبقات الشعبية .

يقول الاستاذ ميشيل عفلق ... ليس هناك قومية واشتراكية ... القومية ، وانما ... قومية هي اشتراكية ... وانها ... .

... مفهوم القومي ... الاشتراكي ... الوحدة العربية ... الاشتراكية ...

يقول الاستاذ ... « ان الثورة القومية في اسيا وافريقيا ثورة قومية ... » ...

... ليس ... الراسمال ... الراسمال ... .

■ قومية لينين وستوكلي توريه

« ان الشعب الذي يضطهد شعبا آخر لا يستطيع ان يكون حرا ... القومي » ... حقوق القومية ... والقومي ... .

ان ... الشعوب القومية ... الرأسمالية .

وبما ان الاشتراكية ... ماركس ... الاشتراكية ... (لينين)

... الامة العربية ... الشعوب ... .

يقول ستوكلي توريه : الماركسية ليست ماركسية مجردة ، بل ماركسية ... الامة العربية ... الشعوب ... والاقتصادي والسياسي للشعوب .

يقول الاستاذ ميشيل عفلق :

« ان منطق التفكير القومي الاشتراكي العلمي في التحليل الاجتماعي والاقتصادي ... وجود صراع بين الطبقات ... الوحدة القومية ... الاستقلال » .

وبهذا يكون فكر الثورة العربية ... .

■ السياق الجديد لتجربة الثورة العربية الاشتراكية

ان الثورة العربية هي ثورة شعبية ... الاستعمار والصهيونية ... الاستعمار ... والاجتماعي ...

القوميات الأوروبية العصبيات الضيقة المتعربة أما قوميات بلدان العالم الثالث الفقيرة فتمثل الحرية

« الظلم في الغرب لا يصيب إلا الطبقات بينما الشرق عبارة عن أمم مظلومة »
ميشيل عفلق

القوميات في العالم الثالث

مفاهيمها وايديولوجيتها القومية الاشتراكية فان الثورة العربية الوطنية من حيث حجمها وتكوينها وجماهيرها وطبيعتها هي في الوقت ذاته وبصورة لا انفصال فيها انسانية عالمية من حيث هي القضاء على اكبر معاقل الاستعمار وحرب على الامبريالية العالمية .

ولو نظرنا الى صلب نظرية ماركس عن صراع ووحدة قوى الانتاج وعلاقات الانتاج وصلب نظرية لينين عن الامبريالية لادركنا ان المسألة القومية بهذا المعنى وعلى هذا النحو كما في ايديولوجية الثورة العربية المعاصرة التي يمثل طليعتها حزب البعث العربي الاشتراكي هي اليوم اهم بكثير مما كانت في عصر ماركس لانها قضية صراع شعوب القارات الثلاث — ومنها الشعب العربي — ضد الامبريالية. ولادركنا بان الثورة الاشتراكية في هذه البلدان هي امتداد نوعي وتجاوز جدلي للثورة القومية المناهضة للاستعمار والامبريالية والاقطاعية والراسمالية الكومبرادورية وتوابعها .

لذا فان الثورة العربية رغم ان عدوها الاساسي كان عدوا خارجيا الا انها ومن خلال مسيرتها قد مست التركيب الاجتماعي والتحمت اكثر فاكثر بالثورة الاشتراكية في صلب تكوينها . متخذة العلم والمنطق الجدلي اساسا في ايديولوجيتها .

من هذا التحديد نستطيع التاكيد انه لا يمكن ان نكون علميين اشتراكيين ونرضى بانكار النضال القومي ودوره في تحرير الانسان العربي ، كما لا نرضى بعملية الصهر القومي كما عبر بذلك حزب البعث العربي الاشتراكي في حل القضية الكردية.

جاء في نشرة قومية صادرة عن المؤتمر القومي العاشر لحزب البعث . ان حل المسألة الكردية في شمال العراق قد جاء حلا ينسجم مع الابعاد الانسانية للمفهوم القومي لحزب البعث العربي الاشتراكي ومع مستلزمات وضرورات وحدة النضال بين الجماهير العربية والجماهير الكردية من اجل تحقيق اهدافها القومية التحررية التي تجمعها في صف واحد ضد التحالف الامبريالي الرجعي الصهيوني .

وبالنتيجة فان الثورة العربية المعاصرة هي كما يقول المناضل مسعود الشابي : « التغيير الجذري لعلاقات الانتاج او النمو الكبير لقوى الانتاج الناجم عن تقدم تكنيكي في وسائل الانتاج نتيجة تقدم حضاري معين · ذلك ان الثورة تكتسب خصائص عملية في كل مجتمع » .

سمير سليمان □

إيران تغزو الخليج
تمهيدًا لبسط سيطرته

تحقيقات عربية

في الوقت الذي تواجه فيه الامة العربية محاولة التسليم بالانتصار العسكري الاسرائيلي الذي حققه العدو في حرب الخامس من حزيران ، وتكريسه سياسيا عن طريق مشروع روجرز ، تواجه محاولة لا تقل عنها خطرا في الخليج العربي· وبالرغم من ان المحاولتان في النهاية تلتقيان عند هدف واحد، وهو سلخ اجزاء جديدة من جسد الامة العربية فان المحاولة الاولى مكشوفة تواجهها الامة العربية بضراوة ، اما المحاولة الثانية فقد نجح الاستعمار المتحالف مع الرجعية الايرانية وبالتواطؤ مع بعض الانظمة العربية احاطتها بمؤامرة الصمت المكثف .

ليس هذا فحسب بل هو يصور كل جهد يبذل لمواجهة الخطر الجديد على انه هدر للطاقات واضعاف للمواجهة مع اسرائيل ، وكأن الارض العربية ليست وحدة متماسكة لا يجوز التفريط بجزء منها بحجة الحفاظ على جزء اخر ، فكيف والتفريط بالخليج ليس للحفاظ على ارض فلسطين ، او حتى سيناء او الجولان ، بل امتداد لسياسة العجز والاستسلام الطبيعية الملازمة للانظمة القطرية التي اقامت سلطتها على حطام حرية الجماهير ومبادرتها .

■ الثروة البترولية هدف الاستعمار الاول

تنطلق السياسة الاستعمارية في نظرتها الى الخليج من زاوية مصلحتها الاقتصادية والاستراتيجية في بتروله الذي يمون اوروبا الغربية ، والوجود العسكري الامريكي في جنوبي شرقي اسيا من فيتنام الى كوريا وحتى اليابان شمالا .

واخر الاحصاءات التي توافرت لدى دوائر البنتاغون الاميركي تؤكد ان احتياطي السعودية من البترول يوازي ضعفي احتياطي الولايات المتحدة نفسها. واحتياطي السعودية بالذات لا يشكل الا جزءا يسيرا من الاحتياطي الكامن في ارض بلدان الخليج العربي وفي المناطق المغمورة من ساحله وداخل الجرف القاري· ولهذا فان مستقبل الاقتصاد الغربي طالما ان البترول هو الطاقة المحركة الاولى ، مرهون بالسيطرة الاستعمارية الكلية على هذه الثروات البترولية .

■ ارباح الشركات البترولية

كما تشكل الارباح التي تحققها الشركات الغربية والبالغة ١.٥٥٧ مليون دولار سنة ١٩٦٧ مساهمة كبيرة في سد العجز في ميزان المدفوعات الذي تعاني منه كل من الولايات المتحدة الاميركية ، وبريطانيا . بالاضافة الى انه يشكل القاعدة التي تجني منها حكومات اوروبا الغربية ما لا يقل ٧.٠١٦ مليون دولار من الضرائب سنويا .

لهذا ليس من المعقول ان يكون سحب بريطانيا لقواتها من الخليج الذي يفترض ان يتم قبل نهاية عام ١٩٧١ ، جلاء للنفوذ الاجنبي وترك ثروانه لشعبه العربي ، فلم يعودنا الاستعمار ان يكون كريما مع الشعوب متنازلا لها عن حقوقها بهذه البساطة .

ومن هنا كان لا بد لطرف جديد ان يقوم «بحماية» الخليج وصون «امنه» . وبدأ يتردد في الصحف الغربية تعبير جديد عند الحديث عن منطقة الخليج هو «الوريث القادر» اي الذي يستطيع ان يحمي المصالح الغربية بالقدرة ذاتها التي توفرها القوا[...]
العسكرية البريطانية · وبالطبع فالوريث [...]
القادر في ذهن هذه الصحف لا يمكن [...]
ان تكون حكومة الشاه التي اثبت سجلها [...]
الطويل من التعامل مع الغرب انها ترشح [...]
ان يكون دورها باستمرار دور المتآمر [...]
لمخططاته والحافظ على مصالحه .

■ دور ايران

ومما يؤهل ايران للعب الدور الجد[...]
وجود جاليات كبيرة لها في جميع امارات [...]
الخليج وبنسب مخيفة في بعض امارات[...]
ففي دبي تبلغ نسبة الايرانيين ٦٥ بالمئة [...]
ونسبة المواطنين العرب ١٥ بالمئة والب[...]
جاليات هندية وباكستانية ومن الطوا[...]
اخرى · بينما تبلغ نسبتهم في قطر الى [...]
مجموع السكان ٤٥ بالمئة ، وفي ابو ظبي [...]
٣٠ بالمئة اما البحرين فتبلغ ١٥ بالمئة [...]
وهنا يجدر بنا ان ننبه ان هذه النسب [...]
هي للايرانيين الذين يحملون الجنسية [...]
الايرانية ولا يدخل فيها عشرات الالوف [...]
الايرانيين الذين يحملون جوازات سفر [...]
عربية من امارات جعلت من نفسها دكان[...]
لبيع جوازات السفر تعويضا عن [...]
الثروة البترولية · كما ان هذه الجالي[...]
الايرانية تتألف في اكثريتها الساحقة من [...]
الرجال فقط وليس العائلات وتتراوح [...]
اعمارهم بين ١٥ — ٥٠ سنة في حين [...]
بقية السكان العرب يشمل معظم الاطفال [...]
والنساء والشيوخ ، ولهذا الامر خطورة [...]
اذ يجعل القوة العاملة في امارات الخليج [...]
في معظمها ايرانية مسيطرة على مرافق [...]
الاقتصادية وعلى سبيل المثال فقط يسيطر [...]
الايرانيون على ٩٩ بالمئة من تجارة [...]
الغذائية في دبي و ٩٩ بالمئة في قطر و [...]
بالمئة في ابو ظبي ، و ٥٠ بالمئة في [...]
البحرين · ولا يقتصر نفوذهم في الحياة [...]
الاقتصادية بل يمتد الى الجانب السياسي [...]
فهنالك العشرات من امثال علي [...]